وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة محمد خيضر بسكرة
كليـــة العلـــوم الإنســـانيـــة والاجتماعيـــة
قســـم العلـــوم الإنســـانيـــــة

Université Mohamed KHIDHER -Biskra
Faculté des Sciences Humaines et Sociales
Département des Sciences Humaines

مقياس النشاط الحرفي والتجاري
لطلبة السنة أولى ماستر تخصص تاريخ وسيط

أسس الحرف والصناعات في الغرب الإسلامي
(العوامل المؤثرة في النشاط الحرفي والتجاري)

أسس الحرف والصناعات (الموارد الأولية):

نباتية: المحاصيل الزراعية:

الحبوب: أهتم المغاربة بشكل كبير بزراعة الحبوب ليس في العصر الوسيط فقط بل حتى في العهود القديمة وهذا بسبب توفر الكثير من العوامل المساعدة على ذلك، سواء منها الطبيعية أو البشرية، إضافة إلى أهمية الحبوب كغذاء أساسي للإنسان، وفي مجال الصناعات الغذائية كمورد من أهم موارد التجارة الخارجية لذلك انتشرت زراعة الحبوب بمختلف أنواعها في كل أنحاء الغرب الإسلامي وهذا ما يؤكده البكري في قول: " كان يحمل من باجة كل يوم ألف حمل بعير من الحبوب إلى تونس والقيروان ".

كذلك الوضع في تاهرت وهذا ما نستشفه مما ذكره الدرجيني في **كتابه طبقات المشايخ** حول أبي مرداس مصاهر أحد علماء الإباضية في جبل نفوسة " وذكر عنه أنه كان إذا قدم تاهرت فحصد الناس زروعهم، ولقط اللقاطون السنابل التي تبقى بعد اللقاطين ورعى المواشي تعقبهم أبو مرداس فيلقط ما يقوم بقوت عام فيعتقد أن الذي بقي بعد اللقاطين ورعي المواشي إنما هو متروك".

مما يؤكد أيضا إزدهار زراعة الحبوب في بلاد المغرب هو تحقيقها للاكتفاء الذاتي في الكثير من فترات العصر الوسيط و وصل الوضع إلى التصدير.

نفس الوضع في بلاد الأندلس وهذا ما جاء به ابن الخطيب "**اللمحة البدرية في الدولة النصرية**" حول سهول الكنبانية والبرجلات أنهما " بحر من بحار الحنطة ومعدن من معادن الحبوب المفضلة "

من أهم هذي الحبوب:

ـ **القمـــح:** يزرع في المناطق الخصبة وكان أكثر مزروعات أهل طنجة ومدينة أزيلي والبصرة والكرت وماسيته، وكذلك على طول الطريق المتجه من فاس إلى تلمسان، ومن جهتين وحتى في جنوب بلاد المغرب الأقصى كالسوس

الدكتورة: شارف جامعة بسكرة

ومدينة سجلماسة حيث وصف صاحب الاستبصار قمحها بقوله: " وقمحهم رقيق الحب يسع مد النبي صلى الله عليه وسلم من قمحهم خمسة وسبعين ألف حبة "

ومن الأدلة التي تبين مدى وفرة هذا المحصول في بلاد المغرب ما شاهده ورواه ابن صاحب الصلاة عن الكميات الضخمة من القمح والشعير التي أعدها عبد المؤمن بن علي الموحدي لجنوده حين عزم على العبور إلى الأندلس في قوله: " وأعد أي ‹عبد المؤمن› من القمح والشعير للعلوفات والمواساة للعساكر على وادي سبو بالمعمورة المذكورة ما عاينته مكدسا كأمثال الجبال بما لم يتقدم لملك قبله ولا سمعنا به في جيل من الأجيال، بقي في ذلك الموضع معدا من عام سبعة وخمسين إلى عام اثنين وستين وخمسمئة حتى فنى في أكداسه وعاد ترابا ورمادا باحتراقه بعضه في بعض وإفساد الزمان له إفسادا "

ويشير حسن الوزان إلى نوعية القمح الجيدة التي كانت تنتجها سهول تاسالة المجاورة لتلمسان بقوله: " أما مدينة تاسالة فتقع في سهل كبير يمتد على مسافة عشرين ميلا ينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب "، وعن مدينة تنس يقول: " وأما إقليمها فينتج الكثير من القمح "، ويذكر أيضا سهل البطحاء" في سهل فسيح ينبت فيه القمح بكثرة وكانت تحقق لملك تلمسان دخلا يقدر بعشرين ألف مثقال" لوفرة إنتاج الحبوب وخاصة القمح عرفت تيهرت في العهد الرستمي بعراق المغرب حسب ما ذكره اليعقوبي ويقول حسن الوزان عن قمح متيجة " وفي الضواحي سهول جميلة جدا لا سيما سهل متيجة الذي يبلغ طوله حوالي خمسة وأربعين ميلا وعرضه ستة وثلاثين ميلا حيث ينبت القمح الجيد"، اشتهرت أيضا باجة بإنتاجها للقمح حتى ظهر فيها المثل القائل: " لو كان هناك باجتان لفاق عدد حبات القمح عدد حبات الرمل"

وفي بلاد الأندلس كان القمح ينتج بشبرب التابعة لبلنسية والمنكب ومرسية التي يقول الزهري عن قمحها: " فيها موضع يعرف بشنقير تنبت فيه الحبة الواحدة من القمح ثمانين ومئة سنبلة وفي السنبلة ثمانين ومئة حبة طيبة "

ـ **الشعيـــر:** زرع في سهول اسرسو جنوب تيهرت ووادي الشلف وسهول الساحل وبجاية حسب ما أشار إلى ذلك القلقشندي، وكذلك في وهران فابن حوقل يقول: " إن غلتها من القمح والشعير"، وكذلك في المناطق الجبلية كجبل متغارة وولهاصة وبني يزناس ومطغرة لا تنتج إلا الشعير إضافة إلى باجة وبلاد الجريد كقسطيلة ونفطة وشمال فاس إلى نهر سبو ثم إلى نهر ورغة وفيما وراء ذلك حتى سفوح الجبال التي تطل على المتوسط وطنجة وازيلي والبصرة والكرت، وكذلك بلاد السوس في الجنوب التي أطلق عليها ابن سعيد: " بلاد حنطة وشعير"، وفي إفريقية كان وفيرا ويزرع في المناطق الأقل حظا من حيث الظروف الطبيعية، وكان أكثر استهلاكا لدى الحفصيين.

في بلاد الأندلس ينتج في غرناطة وأبدة وأنده وبرشلونة وقرمونة وشنترين وشريش وسنتره ووادي الحجارة وتدمير وأستجه ومدينة المرية التي كان يخزن فيها الشعير لمدة طويلة دون أن يتسوس.

يمكن القول أن مادة الشعير كانت جد متوفرة في بلاد الغرب الإسلامي.

إلى جانب القمح والشعير توجد حبوبا أخرى كالحنطة والذرة والسمسم والأرز لكنه قليل حسب القلقشندي: " أما الأرز فإنه عندهم قليل بعضه يزرع في بعض الأماكن من بر العدوة "، وزرع كذلك في منطقة السوس، أما في الأندلس فقد زرع في المناطق الجنوبية والشرقية خاصة منها مدينة بلنسية التي تصدره إلى جميع بلاد الأندلس.

ـ الأشجار والنباتات المثمــرة:

ـ أشجار الزيتون: من المحاصيل الجد متوفرة في بلاد المغرب (منتشر في المنطقة منذ العصور القديمة)، من أهم مناطق إنتاجه إفريقية والمغرب الأوسط (هنين وتلمسان ووهران وبجاية ويذكر يحيى ابن خلدون حول تلمسان: " تحفها الخمائل والألفاف والحدائق الغلب بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من الفواكه والرمان والتين والزيتون ")، وفي المغرب الأقصى في فاس والرباط وتازة ومكناس خاصة حسب ما جاء به ابن غازي في (**الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**):" أما الزيتون فيها أي مكناسة كثير جدا ولذلك أضيفت إليه واشتهرت به، ولما ولي محمد بن عبد الله بن وجاج في أول أيام الموحدين بلاد المغرب سيفا وعملا غرس بها وبفاس وبرباط تازة بحيرات أكثر غراساتها الزيتون فكان حب زيتون بحيرة مكناسة يباع عام الخمس (ربما المقصود بها سنة 555 أي الأخماس) بخمس وثلاثين ألف دينار ونحوها، وحب زيتون بحيرة فاس بخمسين ألف دينار ونحوها، وحب بحيرة تازة بخمسة وعشرين ألف دينار ونحوها وذلك قبل أن يستولي على المغرب تخريب بني مرين " ونفس الشيء أشار إليه المقدسي.

وفي بلاد الأندلس اشتهرت منطقة جبل الشرف غربي اشبيليا بزراعة أشجار الزيتون بكثرة حتى أن البكري يقول: " انه لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه واشتباك غصونه "، كذلك قرطبة وغرناطة والمرية.

ـ التوت ودودة القز: من أهم الغلات الزراعية ذات الفائدة الاقتصادية الكبيرة إذ تستعمل شجرة التوت في تربية دودة القز التي تستخرج من شرانقها الخيوط التي تستخدم في صناعة المنسوجات الحريرية، وفي هذا المجال يذكر الونشريسي أن هناك ما يفيد باشتراك شخصين في تربية دود الحرير وكل واحد منهما يساهم في علوفة دود الحرير بان يشتري ورق التوت وغير ذلك من المؤونة التي يحتاج إليها، كذلك كان صاحب أشجار التوت يخرج أحيانا جزء من دود الحرير وورق التوت كنصف مثلا، في حين يساهم العامل أو الشريك بالنصف الآخر ويقوم بتوفير كل ما تحتاجه الدودة ويتقاسمان الحرير أي بمثابة شريكين في الغلة.

من مناطق إنتاجه قابس حيث نوه ابن حوقل بأهمية إنتاجه بها بقوله: "يصنع بها الحرير الكثير الغزير"، ويؤكد ذلك البكري في قوله: " ليس في عمل إفريقية حرير إلا في قابس" على أساس أن شجرة التوت في قابس يعادل إنتاجها إنتاج خمسة أشجار في المدن الأخرى وانه من أطيب الحرير وارقه، وفي الأندلس اشتهرت مرسية وجيان التي كانت تعرف بـــ "جيان الحرير"، كذلك المرية وملقة، وارتبط إنتاجه وتسويقه بالملابس النسائية بسبب رأي الفقه الذي يمنع استخدامه في أزياء الرجال إلا بالنزر القليل (في الأكمام مثلا) وانتشر بين الأمراء والعلماء.

.../...يتبع

أستاذة المقياس: ف. شلـوق